اسم الله وصفته (عالم) بين الاستعمال اللغوي والدلالة القرآنية

أ/ علي حفظ الله ـ جامعة عنابة

مقدمة

تعرف كل اللغات البشرية تطورا عبر مسيرتها التاريخية من خلال تطور المجتمعات التي تستعملها، إذ اللغة هي ترجمان الواقع الاجتماعي بمختلف تجلياته المادية منها والمعنوية. وعدم استقرار المجتمعات على حال بعينها يصحب بتغير اللغات أيضا. واللغة العربية ليست بدعاً من اللغات الإنسانية، فهي تتغير بتغير الناموس الذي يحكم الظاهرة اللغوية .

وكما أن التطورات الحضارية في جانبها المادي تحدث تغيرات اجتماعية عميقة تنعكس بدورها على اللغة، كذلك الحال بالنسبة للثورات الفكرية. فما من ثورة فكرية إلا وتجلّت في لغة المجتمع على مستوى المعجم أو التراكيب.

وقد مثّل الإسلام ثورة اجتماعية شاملة غيرت الحياة العربية القديمة في مختلف مناحيها الاجتماعية، والمادية.

وقد صاحب هذا التغيير تطور في اللغة العربية إذ نزل القرآن على رسول الإسلام محمّد صلى الله عليه وسلم بها فهي ألفاظ و معانٍ، وألفاظها مقدَّمة على معانيها، لها أهمية بالغة في حياة الإنسان فهي تعبّر عما في فؤاده، وتترجم المعاني والمشاعر التي بداخله، وهي إلى جانب ذلك وسيلة لمخاطبة الآخرين.

ولم تبتعد اللغة العربية عن أصلها وبقيت محتفظة بأصولها وفروعها، رغم تفتحها على النظريات الوافدة من غير بيئتها.

وقد ساهم القرآن الكريم مساهمة فعالة لتأكيد نظرية توحيد لهجات اللغة العربية وجعل منها لغة أدبية أصبحت هي اللغة الرسمية لجميع الناطقين بها على تباين لهجاتهم، وجميع المسلمين يتلون بها كتاب الله، ويتفقهون في دينهم، ويتعمقون في فهم القرآن و كشف أسراره.[1]

وأصبحت اللغة العربية خادمة للقرآن الكريم وهو خادم لها، محافظ عليها من الزوال، فاتصل الدّينُ باللغة اتصالاً وثيقاً في العصور الإسلامية، وكان الباعث على اهتمام علماء اللغة بجمع الشواهد اللغوية، وتقعيد اللغة باعثاً دينياً،وهو ضبط نصوص القرآن الكريم،وتعليم الطلاب لغة القرآن، وجرت مناهج التعليم منذ أقدم العصور الإسلامية على المزج بين المعارف الدينية واللغوية.. (2)

ومِنْ ثَمَّ كان اللغوي غالباً له حظ وافر من القراءات أو التفسير، أو الحَديث، أو الفقه.

وإذا عُدْنا إلى تراثنا الدّيني واللغوي نجد أنَّ الذين اهتموا بتفسير مفردات القرآن في بداية الأمر، هم المفسرون وعلماء القراءة، ثم علماء الغريب، وعلماء اللغة، فيما بعد، ومن هنا كانت كتب التفسير والقراءة والغريب من المصادر الغنية بالثروة اللغوية، وبعد أنْ انفصلت اللغة عن علوم الدين، أخذت تصبّ تلك الظواهر اللغوية، في كتب اللغة.

والنَّص القرآني يتمتع بكمٍّ هائل من الألفاظ والتراكيب، و مِمّا هو متفق عليه بين جميع العرب والمسلمين على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم كون بعض المفردات القرآنية هي من قبيل المصطلحات التي تحافظ على المعنى الواحد وإن اختلف التعبير، فالمفردات القرآنية مثل: الصلاة، الزكاة، الحج، هي مصطلحات لا يختلف في تعريفها، ويعبر عنها في التفاسير بالألفاظ الشرعية المنقولة عن معناها اللغوي.

كما أن هناك مفردات قرآنية أخرى غير منضبطة في تعريفها مع اتفاق على مُجمل المعاني التي تُحيل عليها كالتقوى والعمل الصالح.ويُمكن اعتبارها من قبيل المفاهيم.

وهناك مفردات قرآنية أثارت جدلاً بين كونها مفهوماً أو مصطلحاً بالمعنى الذي أوضحناه.

ولعل من أبرز الأمثلة لهذا النوع من المفردات ألفاظ: الإيمان، النبي، الرسول، الكتاب.." وهذا النوع من المُفردات كان ولا يزال محل اختلاف في تحديد دلالتها، وما دام تحديدها موضع اجتهاد فإنها تبقى من قبيل المفهوم ولا تتحول إلى مصطلح إلا باعتبار دارسيها.

ودراسة هذا النوع من المفردات هو الذي يمكن أن يضيف أفقاً جديداً في تدبر القرآن." (3)

وعموماً فإن المفهوم والمصطلح كلاهما يتجاوز الاستخدام اللغوي للفظ للدلالة على معنى قرآني خاص.

فاللفظ القرآني قد يتفق على تعريفه ولا ترادفه مفردة أخرى فيكون مصطلحاً، أو لا ينضبط تعريفه وتشاركه مفردات أخرى في معناه فيكون مفهوماً، أو يتردد بينهما.

فالمفردة القرآنية ترد ضمن نص لغوي، يجب أن نَعِيَ أبعاده ومراميه، فهو نص إلهي ممّا يعني أن استخدامه للغة لن يوازي الاستخدام البشري، فله استخدامه اللغوي الخاص، مما يجعل الاستعانة بالمعاجم في التعرف على معاني الكلمات لن يؤدي الغرض المراد تحقيقه، لأن فهم الألفاظ ينبع من القرآن أولا، ثم لابأس أن نستعين بالمعاجم ثانيا.

فهذه دراسة بيانية عنيت بها مفردة من مفردات القرآن الكريم (عَالِم)، لفظة سَمَّى الله بها ذاته، ووصف بها نفسه.

وقفت عندها في القرآن الكريم، طلباً لاستكشاف دلالتها ومعانيها وأثرها في السياق الواردة فيه.

ومعلوم أن الله تعالى وصف نفسه بصفات الكمال والجمال، وسَمَّى نفسَه بأسماء الجلال والعظمة، وأعطى لعبده الحرية والإرادة لاستلهام هذه الصفات الإلهية طلبا لبلوغها حسب قدراته العقلية والنفسية، دون تجاوز منه حتى لا يتعدى حدوده لها، فكلٌّ ميسّر لما خُلِقَ له.

وقد عنيت في المقام الأول بدلالة اللفظة في سياقها، ومراده عزّ وجلّ منها، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها من الألفاظ.

إنَّ هذه اللفظة لها من البدائع والأسرار اللغوية اللطيفة التي قد لا يدركها القارئ بيسر منذ الوهلة الأولى ــ وهي كثيرة في كتاب الله ــ تُجسِّد تلك اللغة القويمة التي أعجز الله تعالى بها أرباب الفصاحة والبيان من أهلها. ويكفي أن الله سمَّى بهذه ذاتَه، ووصف بها نفسَه. وقد وردت صيغتها في القرآن ما يربو على ثلاث عشرة (13) مرة، تنوعت صورتها، كما تنوع التركيب الذي ورد فيه بحسب السياق والمقام.

وقد تناولت هذا الموضوع في شكل مباحث وقفت فيها على دلالات مادة (عَلِمَ) بين اللغة والقرآن،وفق الشكل التالي :

المبحث الأول: دلالة (العلم) في اللسان العربي.

العلم: من علم يعلم علما، ورجل عالم وعليم وجمعها علماء.

قال ابن جني:" لما كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملابسة صار كأنه غريزة ، ولم يكن على أول دخوله فيه ، ولو كان كذلك لكان متعلما لا عالما ، فلما خرج بالغريزة إلى باب فعل صار عالم في المعنى كعليم، فكسر تكسيره، ثم حملوا عليه ضده فقالوا: جهلاء كعلماء، وصار علماء كحلماء؛ لأن العلم محلمة لصاحبه، وعلى ذلك جاء عنهم فاحش وفحشاء لما كان الفحش من ضروب الجهل ونقيضا للحلم". [4]

قال ابن بري: وجمع عالم علماء، ويقال علاّم أيضا؛ قال يزيد بن الحكم:

ومُسْتَرِقُ القَصائِدِ والمُضاهِي ** سَواءٌ عندَ عُلاَّمِ الرِّجالِ [5]

ويَحملُ تعريف العِلم في مصطلح اللّغة العربية العديد من الدلالات يمكن تلخيصها فيما يلي:

1 ــ العلم مرادف للمعرفة: أي إدراك الشيء بحقيقته، ونقيضُه الجهل. فيقال:" فلان على عِلْمٍ بالأمر أي يَعرفُه. " وفي القرآن قوله تعالى:{أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى} النجم 35.

وعَلِمَ الشَّيْءَ بالكسر يَعْلَمُه عِلْماً عَرَفه. و رَجُلٌ عَلاَّمَة أي عالُم جِدّاً والهاءُ للمُبَالغة.[6]

قال صاحب تاج العروس :" علم به كسَمِع وشَعَر وعَرَف.

والعلم، والمعرفة، والشعور كلها بمعنى واحد. وأنه يتعدى بنفسه في المعنى الأول، وبالباء إذا استعمل بمعنى شَعَرَ ، وهو قريب من كلام أكثر أهل اللغة والأكثر من المحققين يفرقون بين الكل.

والعلم عندهم أعلى الأوصاف لأنه الذي أجازوا إطلاقه على الله تعالى، ولم يقولوا عارف...".[7]

2 ــ المعرفة إدراك الشيء بتفكر، وتدبر لأثره. وهي أخص من العلم، ولهذا كان ضدها الإنكار وضد العلم الجهل . فالمعرفة تتعلق بذات الشيء والعلم يتعلق بأحــواله وهي في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه فإذا أدركه قيل عرفه بخلاف العلم. [8]

وتنسب المعرفة عادةً، في بعض السياقات، للإدراك الجزئي أو البسيط لا للمفاهيم الكّلية والمركبة، فيقال "عَرفتُ الله" ولا يقال "عَلمتُ الله".[9]

<u>3 ــ العلِم مرادف لمرتبة اليقين،</u> ونقيض للشّك والظن، يظهر هذا المعنى في القرآن الكريم في عديد الآيات مثل قول الله تعالى في كتابه العزيز:{وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ} البقرة 144 و{كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمْ} التكاثر 5،6.

ويقال:" اليقين هو العلم وزوال الشك، فهو يتضمن سكون الفهم مع ثبات الحكم وبلوغ الإيمان في القلب لمرتبة العِلم والمعرفة التامة بحيث لا يحصل لصاحبه ترددٌ وتشككٌ وريبة وقلقّ في داخله."[10]

وقال المناوي في التوقيف: " العلم هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع أو هو صفة توجب تمييز ألا يحتمل النقيض أو هو حصول صورة الشيء في العقل. والأول أخص.[11]

وقد يُراد بالعلم في الحضارة الإسلامية العِلم الشرعي اقتصارًا دون العِلم الدُنيوي. حتى قال ابن القيم – رحمه الله– : " إن العبد لو عرف كل شيء ولم يعرف ربّه فكأنه لم يعرف شيئًا ."[12]

ويطلق لفظ العَالِم على الفقيه والمجتهد في الشريعة وأصول العقيدة الإسلامية، ويقول رسول الله "إن العُلَماء ورَثةُ الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثُوا درهمًا ولا دينارًا وإنما ورثُوا العِلمَ فمَن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ." [13]

المبحث الثاني: دلالة (عَلِمَ) في القرآن الكريم

ورد من مشتقات مادّة (علِم) في القرآن الكريم، ما تضمن الدلالة اللغوية، ومنها ما هو أوسع إطلاقا من الدلالة اللغوية.

فممّا تضمن الدلالة اللغوية قوله تعالى: { فاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ الله} محمد19، وقوله تعالى :{ والَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنزل مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } الأنعام114 ،وقوله تعالى:{ وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً } طه114 ، وقوله تعالى:{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } البقرة 31 وقوله : {أَفَمَنْ يَعْلَمْ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} الرعد19 ، وقوله تعالى:{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذين يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لَا يَعْلَمُون } الزمر9 ، وغيرها كثير .

ومما كان أوسع في معانيه من الدلالة اللغوية قوله تعالى:

{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} البقرة 129

وقوله: {وقال الذين أوتوا الْعِلْمَ ويْلَكُم ثَوَابُ الله خير لمن آمن وعمل صالحا}، وقوله: {وقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيـمَانَ لَقَدْ لبِثْتُم فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ}، وقوله: {وتلك الأمثال نَضْرِبُهَا للنَّاس وما يَعْقِلُها إلا الْعَالِمُونَ}، وقوله: {اِعْلَمُوا أن الله يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها}، وقوله: {اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْو}، وقوله: {فاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ}.وغيرها.

فالقرآن أعاد استخدام المفاهيم التي كانت قبل الإسلام وأضفى عليها قيماً جديدة من خلال سياقها القرآني. وهو تحول يكشف عمّا يُعرف في العلوم الإسلامية بالدلالة الشرعية للألفاظ.

فالدلالة في قوله:{ ويعلمهم الكتاب والحكمة ..} هي أكثر اتساعا من الدلالة اللغوية الصرفة كما في قوله : { وعلّم آدم الأسماء كلها..} وكذا في قوله تعالى :{ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان..} وكأن العلم لم يأت بالتعلم البشري المعهود في جلسات العلم ، وإنما جاء هبة من عند الله عز وجلّ مثله كمثل الإيمان الذي يهبه الله لمن يشاء من عباده، فأصبحوا على دراية وثقة في الله يعلمون حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة.

وها هو لسان حالهم وعلمهم يقول فيه الله تعالى:{ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن أمن وعمل صالحا }.{ لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم يبعثون }.

واختار الله سبحانه لنفسه لفظ العلم وما تصرَّف منه ، فوصف نفسه بأنه: عالمٌ ، وعليمٌ ، وعلّامٌ. ولم يصف نفسه بأنّه عارف فهناك فرق جليّ بين العلم والمعرفة، ومعلوم أن الاسم الذي اختاره الله لنفسه أكمل الأسماء المشارك له في معناه.

ورُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسُئل: أي الناس أعلم ؟ قال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه؛ إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك.

فقال موسى: يا رب، وكيف لي به ؟ قال: تأخذ معك حوتا ، تجعله بمكتل ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم.[14]

فسيّدُنا موسى لما التقى العبد الصالح استأذنه في مصاحبته ليتعلم منه، رغم نبوته وفضله، قال تعالى:{قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً }سورة الكهف 66

ومن كرَم الله بالإنسان أن أعْطاهُ قُوَّةً إدْراكِيَّة يُصبْح بها عالِماً، و ما اكتشفه الإنسان في هذا الوجود يفوق حدّ الخيال. فالله عز وجلَّ سمَح لِهذا الإنسان أنْ يعْلم ، بل ودعاه لذلك وشدّد. فهو عالِمٌ يُحِبُّ العلَمَاء. وهنا يتضح جليا لماذا قال الله عزّ وجلّ: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} سورة يوسف76

ونختم هذا المبحث بتنوع استعمالات القرآن لمشتقات لفظة (علم) منها:

اللفظ الأول: وورد العلم في القرآن لإثبات العلم لله تعالى مثل قوله تعالى : { قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } الطلاق 12 وقال تعالى: {إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} لقمان 34. وقال تعالى:{ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ} البقرة 255، وقال تعالى:{ وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعلمه} فاطر 11.

ــ الثاني: ورد لفظ العالم مختصا بالله تعالى دون غيره. قال تعالى:{عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} الرعد9

ــ الثالث العليم وهو كثير في القرآن ومنه: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } سورة يوسف 76

ــ الرابع العلاّم قال تعالى: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} سبأ48

ــ الخامس الأعلم قال تعالى: {اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه} الأنعام 124

ــ السادس صيغة الماضي قال تعالى: {عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ} البقرة 187

ــ السابع صيغة المستقبل في قوله تعالى:{وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ الله} البقرة 197 وقال:{والله يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُون} النحل 19

ــ الثامن لفظ علم من باب التفعيل قال تعالى:{وعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا}البقرة31، وقال في حق الملائكة: {سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا} البقرة 32 وقال:{وعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَم} النساء 113 وقال:{الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ} الرحمن 2.

واعلم أنه لا يجوز أن يقال إن الله معلم مع كثرة هذه الألفاظ لأن لفظ المعلم مشعر بنوع نقصان.

كما لا يجوز إطلاق لفظ العلاَّمة على الله تعالى لأنها وإن أفادت المبالغة لكنها تفيد أن هذه المبالغة إنما حصلت بالكد والعناء وذلك في حق الله تعالى محال.

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أن اللفظة المستقلة بمفهومها الذاتي ، لها معنى عرفي معجمي ، ولها داخل التركيب معنى نحوي، ولها في السياق معنى دلالي من جهة .والمعاني الأصلية لا تهمل بل تستحضر لبيان المعاني الجديدة للمفردات والتراكيب، وإيضاح دلالة المقام في السياق الحالي. من جهة أخرى.

فالبدائل توسع المعنى الأصلي وتولد المعاني الجديدة بدلالات مختلفة عن دلالة المعنى الأصلي .

المبحث الثالث: مواقع اسم(عالم)في القرآن الكريم

ذُكِر هذا الاسم بهذه الصيغة في القرآن الكريم ثلاث عشرة (13) مرة، كُلُّهَا صفة لله تعالى. مثل قوله عزّ وجلّ: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} الأنعام 73

وقوله أيضا :{يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }التوبة 94

ولم يرد اسم الله تعالى (عالم) منفرداً دون إضافة في القرآن الكريم.

و(عالم) من مادّة (علم) والعِلْم إدْراك الشيء على ما هو عليه مع الدليل؛ أو هو مَقولةٌ مقْطوعٌ بِصِحّتِها تُطابق الواقِع بدليل، فلو لم يكن عليها دليل لكانت هذه المقولة تقْليداً، ولو لم تُطابق الواقِع لكانت هذه المقولة جهْلاً، ولو لم يكن مقْطوعُ بِصِحّتِها تُعَدُّ هذه المقولةُ وهْماً أو شَكاً أو ظناً، فالعِلْم ليس شكاً ولا ظناً ولا وهْماً ولكنّه قطْعي.

لا أُبالِغ إذاَ قُلت إنّ مِن أخَصّ ما يخْتَصّ به الإنسان العِلْم، وأكثر صِفاته مُشْتَركةٌ بينه وبين بقِيَّة المخْلوقات إلا أنَّهُ يتميّز بِقُوّةٍ إدْراكِيَّة أودعها الله فيه، فكَرَّمَهُ بالعِلم. وليس فيها خرْقٌ للعادات.

فالعلم لا يكون إلا بعد جهد يبذل تُدرك به هذه المعرفة. وهو إدْراك الشيء على ما هو عليه.

ومقالة أهل الكفر في النار سجلها القرآن بقوله:{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ

السَّعِيرِ.} المُلك 10

قال الراغب الأصفهاني :" العِلم عِلمان: إدراك ذات الشيء، والحُكْمُ على الشيء."(15)

فإما أنْ تُدْرِك حقيقة الشيء وكُنْهَهُ، وهُوِيّته. وإما أنْ تحْكُم عليه. وبذلك يكون العِلم إدراكاً للذات وإدْراكاً للصّفات.

والعِلم عِلمان: "عِلم نظري وعِلم عملي."(16) عِلم تَقْتَبِسُهُ بِإلْقاء السَّمْع ، أو إعْمال الفِكر، أو قِراءة

الكِتاب، أو سماع المُحاضرة، وعِلْم تسْتَنْبِطه من الحركة والعمل. إما أنْ تصِلَ إليهِ بِذاتِك، عن طريق التأمّل، وإما أنْ تصغي إلى غَيْرِك عن طريق السَّمع للتَّلَقي، فإما أنْ تُفَكِّر وإما أنْ تُصْغي. (17)

وقد اختار الله لنفسه اسم (العالم): وهو اسْمٌ من أسْمائه، ويَبْدو أنّ أكثر الآيات التي وردت فيها كلمة العالِم، ورَدَت مُقْتَرِنة بالغيب والشهادة. فالله سبحانه وتعالى عالمُ الغيب، وعالِمُ الشهادة .

المبحث الخامس: مَحل إعراب (عالم) في القرآن الكريم

ورد اسم (عالم) في القرآن الكريم مرفوعا ومنصوبا ومجرورا على حسب اختلاف روايات القراء المشهورين.

أما كونه مرفوعا فقد ورد سبع مرات في سبع سور وهي: الأنعام 73، الرعد 09، السجدة 06، فاطر38، الحشر22، التغابن 18،الجن 26.

أما منصوبا فقد ورد مرةً واحدةً ، في سورة الزمر 46.

وورد مجرورا خمس مرات في أربع سور وهي: التوبة 94، 105، المؤمنون 92، سبأ 03، الجمعة08.

وهو حيث جاء مرفوعا أو منصوباً، أو مجروراً، لم يأت إلاّ مجرّداً عن (لام) التعريف في كل موطن ورد فيه، كما اقترن بإضافة اسم الغيب والشهادة إلا في ثلاثة مواطن وهي:

ــ اثنان اقترنا بالغيب فقط وهما في سورة الجنّ:{ عَالِمُ الغَيبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِه أَحَدًا.}

وسورة سبأ : {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ.}.

ــ والثالث اقترن بغيب السماوات والأرض. في سورة فاطر:{إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.وجميعها وقعت خبراً إما لمبتدأ، وإما لــ (إنّ) الناصبة أو صفة أو بدلاً [34]

أولاً: ورود(عالم) مرفوعا: 60 ــ انظر إعراب القرآن للزجاج

ورد اسم الله (عالم) في القرآن الكريم مرفوعا سبع مرات. كما في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} الأنعام 73

قال الزجاج:{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ } يجوز أن يرفع " عالِم " بفعل دل عليه ينفخ أي ينفخ فيه عالمُ الغيب.[35] والتقدير؛ أي هو عالمُ الغيب والشهادة.

وقال القرطبي في تفسيره: برفع (عَالِمُ) صفة لــ (الَّذِي)؛ أي وهو الذي خلق السماوات والأرض عالم الغيب. ويجوز أن يرتفع على إضمار المبتدأ. وقد روي عن بعضهم أنّه قرأ (يُنْفَخُ)، فيجوز أن يكون الفاعل (عَالِمُ الْغَيْبِ) ؛ لأنه إذا كان النفخ فيه بأمر الله عز وجل كان منسوبا إلى الله تعالى. ويجوز أن يكون ارتفع (عَالِمُ) حملا على المعنى.[36]

وقال النحَّاس يكون نعتا للذي أي،{هو الَّذِي خلق السموات...عَالِمُ الغيب"، ويكون على إضمار مبتدأ، أو بدلا من الهاء التي في (وَلَهُ الْمُلْك). أو محمولا على المعنى أي" ينفخ فيه عَالِمُ الغيب لأنه إذا كان النفخ فيه بأمر

الله كان منسوبا إلى الله عَزّوجلَّ. (37) يَعْني: أنّ عَالِم الْغيْب وَالشَّهادة هُو الَّذي يَنْفخ في الصّور.

وتفسير الآية إن الله سبحانه يعلم ما غاب عن حواسكم – أيها الناس – وما تشاهدونه، وهو الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها، الخبير بأمور خلقه. والتعريف في (الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) للاستغراق، أي عالم كل غيب وكل شهادة. والله تعالى هو الذي يختص بهذه الأمور وغيرها بدءًا ونهاية، نشأة ومصيرًا، وهو وحده الذي يجب على العباد التسليم لحكمه، والانقياد لشرعه، والتطلع لرضوانه ومغفرته. (38)

وكذا في قوله تعالى:{ذَلِكَ عَالِــمُ الغَيبِ والشَّهادَةِ العَزيزُ الرَّحِيمُ} السجدة 06

قرأ الجمهور: برفع الثلاثة (عَالمُ.. العَزيزُ..الرَّحِيمُ) على أنها أخبار لذلك، أو الأول خبر والاثنان (العَزيزُ الرَّحِيمُ) وصفان.(39)

أما قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } الحشر22 جاء(عالم) بالرفع كذلك على أنه نعت مرفوع، وجملة "هو الرحمن" مستأنفة. (40)

أما قوله تعالى:{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} المؤمنون 91 ــ 92

قرأ أهل المدينة {عَالِمُ الْغَيْب} بالرفع لأن جواب القسم قد تقدم، فحسن الرفع بالابتداء والخبر ما بعده ويجوز أن يكون مرفوعا على إضمار مبتدأ ويجوز النصب بمعنى أعني.(41)

وجه الكلام الرفع على الاستئناف. الدليل عَلى ذلكَ دخول الفاء فى قوله {فتَعالىَ} ولو خفضت لكان وَجْهُ الكلام أن يكون (وتعالى) بالواو؛ لأنه إذا خفض إنما أراد: سُبْحانَ الله عَالم الغيب والشهادة وتعالَى. فدلّ دخول الفاء أنه أراد: هو عَالم الغيب والشهادة فتعالى؛ ألا ترى أنك تقول: مررت بعبدالله المحسن وأحسنت إليه. ولو رفعت (المحسن) لم يكنْ بالواو؛ لأنك تريد: هو المحسن فأحْسنتُ إلَيْه.(42)

شأنها شأن قوله تعالى:{قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً، عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً}الجن 26،25 عالِمُ خبر مبتدأ محذوف، أي هو عالم الغيب، أو بدل من ربي. و لا يخفي ما في ذلك من

دلالة، فالرفع أقوى الحركات، هذا يتناغم مع دلالة اسمه (العالم) الذي يشير إلى صاحب العلم القائم به.[43]

ثانيا: وروده مَجروراً:

ورد اسم الله (عالِم) في القرآن الكريم مجرورا خمس مرات في أربع سور. كما في قوله تعالى:

{ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } المؤمنون 91 ــ 92

قرأ أبو عمرو وعاصم {عَالِمِ الغيب}على النعت بالخفض.وقرأ أهل المدينة بالرفع.[44]

وجر(عَالِمِ) على أنه بدل من الاسم الجليل أو صفة له لأنه أريد به الثبوت والاستمرار فيتعرف بالإضافة. والجر أجود عند الأخفش، ليكون الكلام من وجه واحد (سُبْحَانَ اللَّهِ.. عَالِمِ الْغَيْبِ..). [45]

وأجاز أبو البقاء أن تكون صفة. [46]

وقرئ بالجرِّ على أنَّه بدلٌ من الجلالة. وقيل: صفةٌ لها. وأيًّا ما كان فهُو دليلٌ آخرُ على انتفاءِ الشَّريكِ بناءً على توافقهم في تفرُّدِه تعالى بذلك ولذلك رُتِّبَ عليه بالفاءِ قولُه تعالى: { فتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ } فإنَّ تفرُّدَه تعالى بذلك موجبٌ لتعاليهِ عن أنْ يكون له شريكٌ.[47]

وقد يكون الخفض فى (عَالِم) تتبعه مَا قبله وإنْ كانَ بالفَاء؛ لأنّ العرب قد تستأنف بالفاء كما يستأنفون بالواو.وقُرئ بالخفض على أنه صفة لله.[48]

وروى تقرأ (عالِم) بالخفض حينَ الوصل، وبالرفع حين الابتداء.[49]

أما قوله تعالى:{ ذَلِكَ عَالِمِ الغَيبِ والشَّهادَةِ العَزِيزِ الرَّحِيمِ}السجدة 06 ، قرأه زيد بن علي: {عالِمِ الغيبِ والشهادةِ العزيزِ الرحيم}: بخفض الأوصاف الثلاثة؛ وأبو زيد النحوي، ووجه الخفض أن يكون ذلك إشارة إلى الأمر، وهو فاعل لفعل (يعرج)، أي ثم يعرج إليه ذلك، أي الأمر المدبر، ويكون عالم وما بعده بدلاً من الضمير في (إليه). [50]

أما قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} ســبأ 03

جاء(عَالِمِ) في سياق القسم بقوله: (وَرَبِّي) مضافاً إلى الرسول، ليدل على شدّة القسم، إذ لم يأت به في الاسم المشترك بينه وبين من أنكر الساعة، وهو لفظ الله.

و قرأ أهل المدينة {عَالِمِ الْغَيْبِ} بالرفع فحسن الرفع بالابتداء، والخبر ما بعده، وقرأ أبو عمرو وعاصم على النعت. وقرأ سائر الكوفيين بالخفض على النعت أيضا. وقرأ باقي السبعة بالجر..(51)

كما قال الفراء والكسر أحب إلي وهي قراءة الأعمش.(52)

وقال العكبري: يقرأ بالجر صفة لربى أو بدلا.(53)

وقرأ {عَالِمِ الْغَيْبِ} بالخفض والحجة لمن خفض أنه جعله وصفا لقوله {بَلَى وَرَبِّي} لأنه مخفوض

بواو القسم.(54)

أمّا قوله تعالى:{..وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}التوبة 94 .

وقوله تعالى:{..وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }التوبة 105

وقوله تعالى: {.. ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } الجمعة 8

فهي مواطن للفظة (عالم) جاء فيها الخفض معلوما لفظا ومعنى لورود حرف الجرّ (إلى).

<u>ثالثا: وروده منصوباً:</u>

ورد اسم (عالِم) في القرآن الكريم منصوبا مرة واحدة في سورة الزمر في قوله تعالى: { قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} الزمر46

ولفظ: (اللَّهمَّ) أصله يا الله. فلما استعمل دون حرف النداء. عوض عنه بالميم المشددة التي في آخره. ولفظ " فاطر، عالم " منصوبان على النداء تقديره: يا (الله)، ويا (فاطرَ)، ويا (عَالِمَ).

والخطاب لرسول الله على سبيل الاستعاذة والاعتزال لما عليه هؤلاء المشركون من جهل وسفه، يا الله ، يا خالق السموات والأرض ويا عالم الغائب والمشاهد والخفي والظاهر من أمور خلقك ، أنت وحدك الذي تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا ، فتجازى كل نفس بما تستحقه من ثواب أو عقاب[55].

فالمقصود بالآية الكريمة تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عما فعله المشركون معه، وإرشاده إلى ما يعصمه من كيدهم. وتعليم العباد وجوب الالتجاء إلى الله – تعالى – وحده – لدفع كيد أعدائه عنهم.

ولما كان أكثر ما تقدم من السورة مشعرا بالاختلاف بين المشركين والمؤمنين، وبأن المشركين مصممون على باطلهم على ما غمرهم من حجج الحق دون إغناء الآيات والتدبر عنهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم عقب ذلك بأن يقول هذا القول نفيسا عنه من كدر الأسى على قومه، وأعذار لهم بالنذارة، وأن الأجدر بالرسول صلى الله عليه وسلم تركهم وأن يفوض الحكم في خلافهم إلى الله. وفي هذا التفويض إشارة إلى أن الذي فوض أمره إلى الله هو الواثق بحقية دينه المطمئن بأن التحكيم يظهر حقه ويبطل خصمه.

وفاطر مشعر بصفة القدرة، وتقديمه قبل وصف العلم، لأن شعور الناس بقدرته سابق على شعورهم بعلمه، ولأن القدرة أشد مناسبة لطلب الحكم، لأن الحكم إلزام وقهر.[56]

وبعد تتبعي لهذه المفردة تجلى لي أن (عَالِم) ليست أقلّ دلالة على ذات الله من اسْمه (عَليم) أو(عَلاّم)، فهي كلُّها دالة على ذاته سبحانه عزّ و جلّ وصفته.

الهوامش والإحالات :

1 ــ لغة القرآن الكريم ص .586
2 ــ الأستاذ عبد المجيد عابدين/ المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية: ص 102
3 ــ عبد الله هداري المفردة القرآنية ومفهوم المصطلح . مقاربة منهجية .
4 ــ ابن جني / الخصائص – (ج 1 / ص 382)
5 ــ البيت في تاج العروس من جواهر القاموس – ث – (ج 33 ص128) و لسان العرب – (ج 12 / ص 416)
6 ــ المرجع السابق
7 ــ مختار الصحاح باب العين مادة ع ل م ./ القاموس المحيط : باب الميم فصل العين .
8 ــ تاج العروس باب الميم فصل العين.
9 ــ التعاريف – ج 1 / ص 511 .
10 ــ انظر مجموع الفتاوى 570/5، المفردات للراغب [مادة: يقن] ص552 . الصحاح (6 / 2219).
11 ــ التوقيف على مهمات التعاريف / لمحمد عبد الرؤوف المناوي/ تح: د/محمد رضوان الداية/دار الفكر المعاصر،بيروت، ط ، الأولى1410
12 ــ إغاثة اللهفان (68/1).
13 ــ الحديث أخرجه أبو داود.
14 ــ ابن عباس: عن أبى بن كعب/ جامع الأحاديث–(ج 32 ص358) رقمه 35392، وعند البخاري أيضا (4607) من حديث سعيد بن جُبيرعن ابن عباسٍ
15 ــ مفردات غريب القرآن للأصفهاني. (ج 1 ص 367).
16 ــ السابق
17 ــ السابق.
18 ــ التعريفات – ج 1 ص 42 ، التعاريف ج 1 ص 458 ، جامع الدروس العربية – ج 2 / ص 27
19 ــ المراجع السابقة.
20 ــ المفصل في صنعة الإعراب –ج 1 / ص 293
21 ــ الأصول في النحو لأبي بكر بن السراج .
22 ــ شرح أسماء الله الحسنى لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي
23 ــ الأصول في النحو، جامع الدروس العربية (ج 2 / ص 6)، دراسات في النحو – ج 1/ ص 486
24 ــ التعريفات / / لعلي بن محمد بن علي الجرجاني / – ج 1 / ص 42
25 ــ دراسات في النحو لصلاح الدين الزعبلاوي ج1 ص480. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني.
26 ــ السابق / دراسات في النحو – ج 1 / ص 486 انظر جامع الدروس العربية ج 2 / ص 7
27 ــ دراسات في النحو / – صلاح الدين الزعبلاوي/ – (ج 1 / ص 486)
28 ــ شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك – (ج 1 / ص 2)
29 ــ المرجع السابق ج 173/5
30 ــ جامع الدروس العربية – ج 2 / ص 29
31 ــ البيت لأبي نؤاس ديوانه ص 7.. وفي تاريخ دمشق – (ج 23 ص 301)
32 ــ أسرار العربية لأبي البركات الأنباري – (ج 1 / ص 118)
33 ــ المفصل في صنعة الإعراب ج 1 ص 150. جامع الدروس العربية – (ج 2 / ص 30) دراسات في النحو – (ج 1 / ص 350)
34 ــ انظر إعراب القرآن للزجاج – (ج 1 / ص 44). وانظر معاني القرآن للفراء (ج 3 ص 197)
35 ــ إعراب القرآن للزجاج – (ج 1 / ص 44).
36 ــ تفسير القرطبي – (ج 7 / ص 21)

37 ــ إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس(ج 2 ص 75) ،
38 ــ انظر أيضا تفسير ابن أبى حاتم (ج 5 ص 285)، وانظرالتحرير والتنوير – ج 6 / ص 169
39 ــ إعراب القرآن للزجاج – (ج 1 / ص 45)
40 ــ مشكل إعراب القرآن – للخراط – (ج 1 / ص 548)
41 ــ إعراب القرآن النحاس (ج 2 ص 75)
42 ــ معانى القرآن للفراء – (ج 3 / ص 198)
43 ــ المرجع نفسه – ج 3 / ص 331
44 ــ معاني القرآن للفراء – (ج 3 / ص 198)
45 ــ انظر معاني القرآن للفراء (ج 3 ص 198)
46 ــ إعراب القرآن للنحاس – ج 3 / ص 331)
47 ــ معانى القرآن للفراء – (ج 3 / ص 198)
48 ــ المرجع نفسه – (ج 3 / ص 198)
49 ــ تفسير أبي السعود – (ج 5 / ص 18)
50 ــ تفسير السراج المنير – (ج 1 / ص 2689)
51 ــ تفسير القرطبي – (ج 12 / ص 147) رواية رويس عن يعقوب.
52 ــ إعراب القرآن للفراء – (ج 3 / ص 199)
53 ــ إملاء ما من به الرحمن – (ج 2 / ص 195)
54 ــ الحجة في القراءات السبع – (ج 1 / ص 291 ــ 292)
55 ــ تفسير القرطبي – (ج 15 / ص 265) انظر ، الوسيط لسيد طنطاوي – (ج 1 / ص 365).
56 ــ انظر ، التفسير الوسيط لسيد طنطاوي – (ج 1 / ص 366)